الدرس الرابع

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ (الحجر:٤٥-٥٠)

المقابلة بين أهل النار وأهل الجنة :

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ ، بعد أن ذكر اللهُ أهلَ النار ذكرَ أهلَ الجنَّة على طريقة القرآن ، إنه يَقْرِن الوعيد بالوعد ، والترهيب بالترغيب ، والنِّذارة والبشارة ، وهكذا .

فبعد أن تحدَّث عن أهل جهنَّم لِيُخوِّفنا من مصيرهم ، ذَكَر أهلَ الجنَّة لِيُحَبِّبنا في عملهم وسلوكهم ، لنسلُكَ مَسْلَكَهم ونقتدي بهم .

أساس التقوى وثمرتُها ومراتبها :

من هم المتَّقون؟ المتَّقون هم الموصوفون بتقوى الله عزَّ وجلَّ . وأساس التَّقوى : خشية الله . ولذلك أشار النبيّ عليه الصلاة والسلام إلى صدره ، وقال ثلاث مرات : «التقوى ها هنا»[1] . تقوى القلوب كما ذكر القرآن ، أصلها في القلب ، وثمرتها على الجوارح بأداء الفرائض والنوافل ، واجْتناب المُحرَّمات ، ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ (الحج:٣٢) ، ويرتقي الإنسان بتقواه ،

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤) ، وأحمد (٨٧٢٢) ، عن أبي هريرة .

كما جاء في بعض الأحاديث : « لا يبلغ العبدُ أن يكون من المتَّقين ، حتى يَدَعَ ما لا بأس به ، حذرًا لما به البأس »[1]. فالجنة لا يدخلها إلا المتقون .

وقد ذكر الله سبحانه المتَّقين في آيات كثيرة ، في أوائل القرآن ، في أوائل سورة البقرة : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ (البقرة:١-٣) .

وفي سورة آل عمران يقول : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ مَنْ هم؟

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ (آل عمران:١٣٤،١٣٥) .

المتَّقون ليسوا معصومين :

المُتَّقون ليسوا معصومين من الخطأ والخطيئة ، ليسوا أنبياء مُقرَّبين ، ولا ملائكةً مُطَهَّرين ، هم بشرٌ من البشر ، وقد يقع المُتَّقي في المعصية ، والفرق بينه وبين غيره : أنه سريعُ اليقظة ، وسريعُ الأوْبَة إلى الله عزَّ وجلَّ ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ۝٢٠١ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ ﴾ ، أي : إخوان الشياطين ﴿ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴾ (الأعراف:٢٠٢)، ثم يتذكَّر جلال الله ، ويتذكَّر اطِّلاعَ الله عليه ، ويتذكَّر حسابَ الله ،

---

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤٥١) وقال : حسن غريب ، وابن ماجه في الزهد (٤٢١٥) ، والحاكم في معرفة الصحابة (٣١٩/٤) وصحح إسناده ووافقه الذهبي ، والبيهقي في البيوع (٣٣٥/٥) ، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٤٣٥) ، عن عطية السعدي .

ويتذكر الجنة والنار ، ﴿ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ ، أبصر الغاية ، وأبصرَ الطريق ، فامتنع عن الحرام ، وامتنع من الكسل عن الفرائض .

المتَّقون ليسوا معصومين ، ولكن كما قال الله تعالى : ﴿ إِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً - ارتكبوا كبيرة - أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ - ارتكبوا صغيرة - ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ . . . ﴾ (آل عمران:١٣٥).

هل هناك أحدٌ يغفر الذنوبَ إلا الله؟ مَنْ يغفر الذنوب إلا الله؟ ﴿ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴾ (آل عمران:١٣٥،١٣٦).

جنَّات المتقين :

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [1]

يوجد أكثر من جنَّة ، سورة الرحمن ذكرت لنا أربع جنَّات . ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ . . . وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ (الرحمن:٤٦-٦٢) ، والرسول ﷺ قال لأم حارثة : « يا أم حارثة إنها جنان في الجنة »[2] . حينما أصيب ولدها في غزوة بدر ، جاءه سَهمٌ طائشٌ من مشرك فقتله ، فجاءت أمُّه إلى النبي ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، قد عرَفتَ منزلة حارثة منِّي ، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب ، وإن تكُ الأخرى ترى ما أصنع . فقال : « ويحك ، أوَ هَبِلْتِ ، أَوَ جنَّة واحدة هي؟!

---

(١) (جنات) جمع جنَّة ، وهي ما يحتوي على أشجار وثمار وزروع وأنهار وقصور ، مع كل ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين . وجاء لفظ (جنات) مجموعًا لأن دار النعيم فيها جنان متعدِّدة باعتبار أقسامها ، ويجمعها جميعًا اسم (جنة) باعتبار أنها كلها بمثابة دار للنعيم .
والعيون : جمع عين ، وهي ما ينبع من الماء والعسل والخمرة واللبن . والمراد : في مكان تحيط به الجنَّات والعيون ، لا أنهم في العيون نفسها . كما قال تعالى في سورة القمر : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴾ (القمر:٥٤).

(٢) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٠٩) ، عن أنس .

إنها جنان كثيرة ، وإنَّه في الفردوس الأعلى»[1] . إنَّ ابنك أصاب الفردوس الأعلى ، فهو من أهل بدر .

العيون والظلال :

ولذلك يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ (الحجر:٤٥) ، ذكر العيون بالذات ؛ لأنَّ العرب كانت المياه عندهم قليلة ، فالقرآنُ عربيٌّ ويُراعي هذا اللسان العربي ، ويراعي البيئة العربية .

وفي آيةٍ أخرى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴾ (المرسلات:٤١) ، والظلال يحتاج إليها في البلاد الحارَّة ، هذه الظلال تحت الشجرة ، كأن الجنَّة في ظلال وعيون .

وهنا يقول : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ ، عيون تتفجَّر من الجنَّة ، كما ذكر في سورة الرحمن : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ (الرحمن:٥٠) ، أي : في الجنَّتين العُلويتين ، والجنَّتان اللتان هما أدنى : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ (الرحمن:٦٦) .

وفي سورة الإنسان : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ (الإنسان:٥،٦) .

وفي سورة المطفِّفين : ﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ (المطففين:٢٧،٢٨) .

عيونٌ في الجنَّة يتمتَّعون بها : ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴾ (الإنسان:١٧) ، ألوان من الشراب غير الأنهار الأخرى : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ (محمد:١٥) .

---

(١) رواه البخاري في المغازي (٣٧٦١) ، وأحمد (١٣٧٨٧) ، عن أنس .

استقبال الملائكة للمتَّقين عند دخول الجنَّة وسلامهم عليهم :

﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ [1]

مَن الذي يقول لهم : (ادخلوها)؟ الغالب أن القائل الملائكة : ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النحل:٣٢) .

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ (الزمر:٧٣) ، فالذين يستقبلون أهل الجنَّة هم الملائكة ، ويستقبلونهم مُرحِّبين .

فدخول الجنة ليس دخولاً فقط ، ولكن دخول مع استقبال وترحيب ، يُرحِّبون بهم : ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ .

﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ (الرعد:٢٣،٢٤) .

الملائكة حَوْلَ الإنسان قبل أن يدخل ، وبعد أن يدخل ، يُرَحِّبون بداخلي الجنة ، بأهل الجنة : ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ﴾ ، من كلِّ آفة ، أو بتحية لأنهم حين يدخلون الجنَّة ، يُحَيَّون : ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ (يس:٥٨) ، سلامٌ من الله ، وسلامٌ من الملائكة : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾(الرعد:٢٣-٢٤)، ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ﴾ (مريم:٦٢)، ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴾(الواقعة:٢٥،٢٦).

---

(١) أي : ادخلوها مصحوبين بسلام تحية تكريمية لكم ، وحالة كونكم آمنين بعد دخولها من كلِّ ما يخاف منه ، حتى النقص من بعض ما تحبون من لذَّات ونعيم متجدِّد لا ينقطع ولا ينفد .

دخول الجنَّة بسلام وأمن :

فهم يدخلونها بسلام ، سلام ، أيْ من الآفات ، أو سلام التحيَّة ، هذا وذاك ، يُحيَّون وهم سالمون من كلِّ آفة وآمنون .

﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ ، لا خوفَ بعد اليوم .

أشدُّ ما يُنكِّد على الإنسان حياتَه الخوف ، ولذلك لمَّا امتنَّ ربُّنا على قريش قال : ﴿ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۢ ﴾ (قريش:٤) ، وشرُّ ما تبتلى به الجماعات الجوع والخوف : ﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ (النحل:١١٢) .

أما الأمن ، فهو نعمةٌ عظيمةٌ : ﴿ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾ (سبأ:١٨) ، حينما تلقَّى يوسُف أبويه وإخوته قال لهم : ﴿ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ (يوسف:٩٩) . آمنين من كل سوء ، لم يقبض عليكم أحد .

الجنَّة يدخلها مَنْ يدخلها آمنًا من كلِّ سوء ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ ، لا يحزنون على ما مَضَى ، ولا يخافون من مستقبل ، لا يوجَدُ شيءٌ يُخوِّفهم ، علامَ يخافون؟ فعن النبيِّ ﷺ قال : « ينادي مُنَادٍ : إنَّ لكم أن تصحُّوا فلا تسقموا أبدًا ، وإنَّ لكم أن تحيَوا فلا تموتوا أبدًا ، وإنَّ لكم أن تشبُّوا فلا تهرَموا أبدًا ، وإنَّ لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا ، فذلك قوله عزَّ وجل : ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ (الأعراف:٤٣) »[1] . فليس في الجنَّة شيءٌ مخوف .

﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ ، ولذلك تُسمَّى الجنَّة دار السَّلام ، كما قال تعالى : ﴿ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ (الأنعام:١٢٧) ، فهي أمن وسلام من كلِّ شيء .

---

(١) رواه مسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٣٧) ، وأحمد (٨٢٥٨) ، والترمذي في تفسير القرآن (٣٢٤٦) ، عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة .

سلامة صدور أهل الجنة من الغلِّ :

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ [1]

من خصائص الجنَّة ومزاياها : أنه ليس فيها غلٌّ ولا حَسَد ولا كراهية ولا أحقاد ولا ضغائن ، مَنْ دخل الجنة صُفِّيَ قلبه من كلِّ شيء ، طهَّره الله من كلِّ غِلٍّ ، حتى الذين تَعَادَوْا في الدنيا ، إذا دخلوا الجنة انتهت هذه العداوات ، كما قال تعالى : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (الزخرف:٦٧) ، المتَّقون لا عداوات بينهم أبدًا ، وأما الآخرون فيُعادي بعضهم بعضًا ، ويكفِّر بعضهم بعضًا ، ويلعن بعضهم بعضًا ، وأمَّا المتَّقون فهم أحباء ، أخلاء ، أصدقاء ، لا يزال حبُّهم مستمرًّا إلى يوم القيامة ، ويدخل معهم الجنَّة ، وإذا كان أحدهم له مع أخيه شيء في الدنيا ، شيء من الخصومة أو من النزاع ، تجد صدره يوم القيامة صافيًا تمامًا ، ولذلك قال : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ .

والغلُّ : الحقد والبغضاء ، نُزِعَ هذا من صدره ، كما قال في سورة الأعراف : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ (الأعراف:٤٣) ، فهؤلاء الذين دَخَلوا الجنَّة يشعرون بالحُبِّ الخالص .

الجنَّة دارُ حُبٍّ ، ليس فيها مجالٌ لبغض ، ليس فيها مجالٌ لِمُنَافَسَة ، والجنَّة طبعًا درجات ، هل الذي في درجة دنيا يحسد الذي في درجة أعلى منه ، لو كان يحسده ستكون الحياة نَكِدة ، لأنَّ هناك مَن هو أعلى منه بكثير ، خصوصًا إذا كان زميله في العمل ، أو السكن أو كان ينافسه في الدنيا ، والنساء يغار بعضهن من بعض ، لكن لا يوجد غَيْرة ولا منافسة ولا حسد في الجنة بحمد الله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ .

---

(١) نزع : اقتلع وأزال ومَحَا . والصدور : جمع صدر ، وهو محل العواطف والانفعال ، والغل : ما يدخل في الصدور من عداوة ، وضغْن ، وحقد ، وحسد ، وغش ، ونحو ذلك .

سلامة صدور الصحابة رضي الله عنهم :

يدخل أهلُ الجنَّة الجنَّةَ إخوانًا ، لما بينهم من محبة وألفة وصفاء قلوب ، انتهت العداوات ، ونسي ما كان بينهم في الدنيا ، وهذا من فضل الله تبارك وتعالى على أهل الجنَّة ، حتى لا يُكَدِّرها شيء من مكدِّرات الدنيا ، وأول مَن ينطبق عليهم هذا هم الصحابة رضوان الله عليهم ، وما شَجَرَ بينهم من خلاف ، حتى قاتل بعضهم بعضًا ، يدخلون الجنَّة إخوانا على سُرُرٍ متقابلين .

دخل أحد أبناء طلحة بن عبيد الله ، وهو أحد العشرة المُبَشَّرين بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشُّورى ، دخل على عليٍّ رضي الله عنه ، وكان طلحة قد قاتل عليًّا في معركة الجمل كما نعرف ، فرحَّب به عليٌّ وأجلسه بجواره ، وقال له : إني لأرجو أن أكون أنا وأبوك من أهل هذه الآية : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ .

وكان بعضُ شيعة الإمام عليٍّ من المتعصِّبين يجلس بجواره ، فأنكر اثنان منهم هذا الكلام ، وهو : الحارث الأعور، الهمداني المعروف ، فقال ردًّا على كلام الإمام علي : إنَّ الله أعدل من أن يفعل ذلك ، إنَّا نقتلهم بأيدينا، ثم يكونوا معنا في الجنَّة!!

فردَّ عليه سيدنا عليّ ـ رضي الله عنه وكرَّم الله وَجْهَه ـ بغلظة ، وقال : اذهب أنت وصاحبك أبْعَد أرضٍ وأسْحقَها ، إذا لم أكن أنا وطلحة من أهل هذه الآية ، فلمن تكون هذه الآية[1]؟

كان من أصحاب رسول الله ﷺ المُبشَّرين بالجنة ، أصحاب المواقف ، الذين شَهِدُوا المَشَاهد ، وقاتلوا مع رسول الله ﷺ ، وتحت لوائه ، وبايعوه تحت الشجرة ، وأعلن الله رضاه عنهم ، وهم من السابقين الأوَّلين المهاجرين ، الذين قال الله فيهم : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ

---

(١) رواه الحاكم في معرفة الصحابة (٣/٣٧٦) ، وصحح إسناده ، ووافقه الذهبي ، وأحمد في فضائل الصحابة (١٢٩٨) .

رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (التوبة: ١٠٠) ، إذا لم أكن أنا وطلحة والزبير من أهل هذه الآية فمَن يكون ، أهل هذه الآية؟! ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾

مجالس أهل الجنَّة :

﴿ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ (١)

يجلسون على السُّرُر ، ويتَّكئون عليها ، والاتِّكاء على السُّرر دليل على الرفاهية والراحة ، ليسوا مكلَّفين بأيّ عمل ، ينام الواحد على السرير ، يتَّكئ ، يَضْطجع ، يجلس كما يشاء ، ليس هناك مَن يطالبه بعمل ، أو تكليف . لا ، وقت العمل والدوام والتكليف قد انتهى بانتهاء الدنيا ، فأهلُ الجنَّة في نعيم مقيم ، لأنَّ العمل كان في الدنيا ، والجزاء في الآخرة ، فهم الآن يأخذون أجرَهُم وجزاءهم من الله عزَّ وجلَّ .

﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ ، التقابل : هو مواجهة الوجوه للوجوه . أي : كلُّ شخص يقابل الآخر ، ويرى وجْهَهُ ، ولا يرى قفاه .

هناك مجالس المتقابلين ، ومجالس المتدابرين ، النبي ﷺ نهى عن التَّدابر ، أي : أن يعطي كلُّ واحد دُبُرَه أو ظهره لأخيه ، يُعطي له قفاه ، كأنَّ كلَّ واحد يقول للآخر : لا أريد أن أرى وجهك . إنما المتحابون يتقابلون ويتواجهون : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ .

---

(١) إخوانا : جمع أخ ، حال من الضمير في (صدورهم) . أي : ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ ، حالة كونهم إخوانًا متحابين مُتَصَافِّين ذوي تواصل وتوادٍّ . السرر : جمع سرير ، وهو مجلس عالٍ مُوطَّأ للسرور عليه دليلَ الرفعة والكرامة التامَّة . متقابلين : حالٌ أيضًا : من الضمير المتصل (في صدورهم) .

لا إعياء ولا تعب في الجنة :

﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾

في هذه الآية كلمتان : إحداهما : أنه لا يمسُّ أهل الجنة في الجنة نَصَب : أيْ إعياء . أو تعب ، لا يتعب من أيِّ شيء ، لا يوجد فيها أي شغل ، بل يأتيهم ما يشتهونه وما يطلبونه فورًا ، وأحيانًا بعضهم يطلب شغلاً ليتمتَّع به ، كما ورد في الحديث الصحيح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ النبي ﷺ كان يومًا يحدِّث ـ وعنده رجل من أهل البادية ـ «أنَّ رجلاً من أهل الجنة استأذن ربَّه في الزرع ، فقال له : ألستَ فيما شئتَ ؟ قال : بلى ، ولكني أحب أن أزرع . قال : فبذر ، فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده ، فكان أمثال الجبال . فيقول : الله : دونك يا ابن آدم ، فإنه لا يشبعك شيء» . فقال الأعرابيُّ : والله لا تجده إلا قرشيًّا أو أنصاريًّا ، فإنهم أصحاب زرع ، وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع . فضحك النبي ﷺ[1] . فلا يوجد في الجنة تعب : ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ﴾ .

خلود أهل الجنة :

والكلمة الثانية : يمثلها قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ أبدًا ، فهم غير مُبْعدين عنها بزوالٍ أو فناء ، أو إقصاء ، ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ (هود:١٠٨) ، لا يقعدون فيها ألف سنة ثم يخرجون ، ولا مليون سنة ، ولا تريليون سنة ، بل خلودٌ للأبد ، ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ غير مقطوع ، ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ (النساء:٥٧) ، كما قال الله تعالى : ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ (الرعد:٣٥) . ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ (ص:٥٤) ، لا ينفد ولا ينتهي ، وهذا من مزايا نعيم الجنة : الخلود الأبدي ، فإن تمام النعمة الخلود .

---

(١) رواه البخاري في المزارعة (٢٣٤٨) ، وأحمد (١٠٦٤٢) ، عن أبي هريرة .

شرف العبوديَّة :

﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ [1]

ثمَّ قال الله تعالى بعدها ، عن أهل النَّار وأهل الجنَّة : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ .

﴿ عِبَادِيٓ ﴾ ، هنا هل هم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾؟ أم عباده جميعًا ، ومنهم المذكورون في قوله : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ (الزمر:٥٣) ، حتى الذين أسرفوا على أنفسهم ظلوا عباده سبحانه!! لم يُحرمهم من العبوديَّة ، كما يقول في موضع آخر : ﴿ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾ (الفرقان:١٧) ، فكلُّهم عباده .

وأنا أعتقد أنَّ المقصود هنا في الخطاب الجميع : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ ﴾ ، العصاة والمطيعين ، والمؤمنين والكافرين ، نبِّئ الجميع هذه الرسالة ، نبِّئهم : أي : أخبرهم الخبر الهام ذا الشأن ، فالنبأ : هو الخبر الذي له شأن ، ما هو هذا الخبر؟ أو ما هو هذا النبأ ؟

توكيدات المغفرة والرحمة : الرحمان

﴿ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ إنَّ الجملة الإسمية أوْكَد من الجملة الفعليَّة ، والجملة المُؤكَّدة بـ (أنَّ) أو (إنَّ) أقوى من الجملة التي ليس فيها (إنَّ) ولا (أنَّ) ، وقد جاء بعد قوله تعالى : ﴿ أَنِّيٓ ﴾ الضمير : ﴿ أَنَا ﴾ ضمير الفصل ، مُؤكِّد آخر ، والخبر معرفة ، وهو يفيد الحصر ، ففرق أن تقول : أنا فارس ، أو أن تقول : أنا

---

(١) في هاتين الآيتين قَصْران : الأول : قصر صفتي الغفور الرحيم على الله ، فلا يتصف بكمال هاتين الصفتين إلا الله وحده . وهو قصر حقيقي من قصر الصفة على الموصوف . الثاني : قصر صفة العذاب الأليم البالغ غاية الإيلام على عذاب الله سبحانه . وهو قصر حقيقي من قصر الصفة على الموصوف . وأداة القصر فيهما تعريف طرفي الإسناد .

الفارس ، فقولك : أنا فارس ، أيْ : مثلك كثير ، أما قولك : أنا الفارس ، أي : ليس هناك فارس غيري ، ﴿ أَنَا ٱلْغَفُورُ ﴾ . أي : أنِّي أنا الوحيد الغفور ، كلُّ هذه تأكيدات ، وبعد ذلك ﴿ ٱلْغَفُورُ ﴾ ، لا يقول : الغافر ، لأنَّ الغفور صيغة مبالغة لاسم الفاعل (غافر)، والغفور هو كثير الغفران . والمغفرة : ستر الذنوب في الدنيا ، والتجاوز عنها في الآخرة . وليس هناك ذَنْبٌ يستعصي على المغفرة ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الزمر:٥٣) ، كُلُّ ذنب حتى الشِّرك يُغْفَرُ بالتوبة : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ (الأنفال:٣٨) .

﴿ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ، ورحيمٌ أيضًا صيغة مبالغة لاسم الفاعل (راحم)[1]، فلم يقُل : أنا الغافر الراحم . ولكن قال : ﴿ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ، كل هذه من صيغ المبالغة في القرآن الكريم .

وذُكرت كلمة : (الرحيم) في كتاب الله معرَّفةً أربعةً وثلاثين مرة غير البسملة . إذا حسبنا مائة وثلاث عشرة مرة (بسم الله الرحمن الرحيم) نضيفها إلى الأربعة والثلاثين ، فهذا يشعرك أن مغفرة الله ورحمته تسع كل شيء .

وذُكرت كلمة (رحيم) مُنكَّرة واحدًا وستين مرة ، وذكر (رحيمًا)، عشرين مرة ، فيكون مجموعها مائة وخمسة عشر مرة .

سرُّ ارتباط المغفرة بالرحمة وتقديم المغفرة على الرحمة :

وقُرنت المغفرة مع الرحمة بصِيَغها المختلفةِ أربعةً وستين مرَّة .

إنَّ مغفرة الله ورحمته تَسَع كلَّ شيء ، والغفور هو الذي يعفُو عن الذنوب ، ويمحوها ويسترها ، فلا يُبقي لها أثرًا ، ولكنَّ الرحيم هو الذي يُعطِي الثواب .

---

(١) أي : المبالغ في العطف بالإحسان والإكرام ، ووصفُ الله سبحانه بهذا الوصف مع قصره عليه يدلُّ على أنه لا يوجد ذو رحمة تعادل أو تقارب رحمتُه رحمة الله بعباده .

الغفور لن ينالك منه العقاب ، والرحيم الذي يُعْطيك الثواب .

المغفرة تخلية ، والرحمة تحلية .

الرحمة حتى تدخل الجنة : ﴿ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (آل عمران:١٠٧)، وفي الجنة كلُّ شيء ، ولذلك قالوا : الجنَّة فيها رحمةِ الله ؛ لأنَّ الجنَّة مَظْهَرُ رحمة الله عزَّ وجلَّ ، فهو رحيمٌ يُعطي الجنة ، ولذلك دائمًا يُقدِّم المغفرة على الرحمة .

استغفار الأنبياء وطلبهم الرحمة :

سيِّدنا آدم وزوجه حينما شَعَرا بخطيئتهما قالا : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (الأعراف:٢٣) .

وسيِّدنا نوح قال : ﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (هود:٤٧) .

وسيِّدنا موسى قال : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (الأعراف:١٥١) ، ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴾ (الأعراف:١٥٥) .

وقومه بعد أن علموا بضلالهم باتخاذهم العجل قالوا : ﴿ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (الأعراف:١٤٩) .

والرسول محمد ﷺ يقول كما أمَرَه ربُّه : ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (المؤمنون:١١٨) .

والمؤمنون يقولون في دعائهم : ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة:٢٨٦) ، ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (آل عمران:١٦)، ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (المؤمنون:١٠٩) اغفر لنا وارحمنا ، فالمغفرة مقرونةٌ بالرحمة ، والرحمةُ مسبوقةٌ بالمغفرة ، فنحن دائمًا نطلب المغفرة والرحمة .

فتح باب الأمل والجمع بين الخوف والرجاء :

﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ، وبهذا يُرجَّي الناس ، يفتح لهم باب الرجاء والأمل ، حتى لا يَيأَسُوا من رَوْحِ الله : ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾(يوسف:٨٧)، ولا يقنطوا من رحمة الله: ﴿ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الزمر:٥٣)، ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ (الحجر:٥٦).

فهذا هو الرجاء ، ثم يأتي بعد ذلك بما يفيد الخوف ، ليجتمع الرجاءُ والخوف : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ : لا يَغُرَّنَّكم مغفرتي ورحمتي ، فَتَتَّكلوا عليها ، وتفعلوا ما فعل اليهود الذين قال الله عنهم : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ﴾ (الأعراف:١٦٩) ، لا تتَّكلوا على المغفرة ، لا بدَّ أن تخافوا أيضًا من بطشي ومن عذابي .

مؤكِّدات العذاب الأليم وتغليب جانب الرجاء :

وعذاب الله ليس عذابًا هيِّنًا : ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ ، فانظر إلى هذه المُؤكِّدات : ﴿ أَنَّ ﴾ ، وإضافة العذاب إلى الله عزَّ وجلَّ : ﴿ عَذَابِي ﴾ ، وضمير الفصل : ﴿ هُوَ ﴾ ، ووصف العذاب بأنَّه : ﴿ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ ، أي : المُؤْلم المُوجِع . فكلُّ هذه مُؤكِّدات تدلُّ على شدَّة العذاب .

ولكن نجد فرقًا بين الصفتين ، الأولى : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ، فجَعَل المغفرة والرحمة من أسمائه وصفاته : ﴿ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ، . ولم يقل هنا : وأنِّي أنا المُعذِّب . لا يوجد من أسمائه الحسنى : المُعذِّب .

فهناك ذَكَرَ الأسماء ، وهنا ذَكَرَ الأفعال ، ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي ﴾ ، فالعذاب من أفعاله ، والمغفرة والرحمة من أسمائه وصفاته ، وفرقٌ بين الفعل وبين الاسم والصفة .

﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ ، وهذا يدلُّنا على أنَّ الرجاء أغلب ، وعلى أنَّ رحمة الله أثبت وأوسع ، فقد سَبَقَ قوله : ﴿ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ على قوله : ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ .

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما قضى الله الخلق ، كتب في كتاب ، فهو عنده فوق العرش : إنَّ رحمتي غلبت غضبي »[1] .

التوازن بين الرجاء والخوف :

وبهذا علينا أن نخافَ عذابَ الله ، كما نرجُو رحمته ، ونطمع في جنَّته ، ونخشى عذابه ، كما وصف اللهُ بعضَ عباده الصَّالحين ، فقال : ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ (الإسراء:٥٧) ، وكما وصف الإنسان المؤمن ، فقال : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ (الزمر:٩) ، يحذر من ناحية ، ويرجو من ناحية أخرى ، وبذلك يكون الإنسان في حالةِ توازنٍ بين الرجاء والخوف ، فلا يغلب عليه الرجاء حتى يأمن مكر الله : ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (الأعراف:٩٩) ، ولا يغلب عليه الخوف حتى ييأس من رَوْح الله : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (يوسف:٨٧)، وإنما يكون دائمًا بين الخوف والرجاء ، وهذا شأن الإنسان المؤمن .

وقد شبَّه الإمام الغزالي[2] النفس البشريَّة بالدابَّة ، أحيانًا تكون دابَّةً حرونًا ، تحتاج أحيانًا إلى بعض الخضروات والبرسيم لكي يسوقها ، وتحتاج أحيانًا إلى العصا ، فكذلك النفس تحتاج إلى الرجاء والخوف ، وأن تكون فى حالة توازن ،

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في بدء الخلق (٣١٩٤) ، ومسلم في التوبة (٢٧٥١) ، كما رواه أحمد (٧٥٠٠) ، والنسائي في النعوت (٧٧٠٣) .

(٢) في كتابه منهاج العابدين صـ ١٦٧ .

وهذا ما تفيده هذه الآية الكريمة : ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ ، ومثلها آيات كثيرة في القرآن الكريم : ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ﴾ (غافر:٣) ، وقوله : ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المائدة:٩٨)، ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (الرعد:٦) ، ﴿ وَفِى ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٌ ﴾ (الحديد: ٢٠)، ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ (الزمر:٩) .

وهكذا يجمع القرآن بين الخوف والرجاء ، وبين ما يجلب الخوف وما يجلب الرجاء ، ليكون الإنسان المؤمن في حاله توازن ، ويسير في طريقه إلى الله راغبًا في الخير ، راغبًا عن الشرِّ ، مُريدًا لرضوان الله تعالى ، مبتغيًا الجنَّة ومثوبة الله ، حذرا من النار وعذاب الله .

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من عباده المُخْلِصين ، وأن يجعلنا من عباده المُخْلَصين ، وأن يجعلنا من ورثة جنة النعيم ، وأن يجعلنا من سُكَّان الفردوس الأعلى ، إنَّه سميعٌ قريب مجيب .